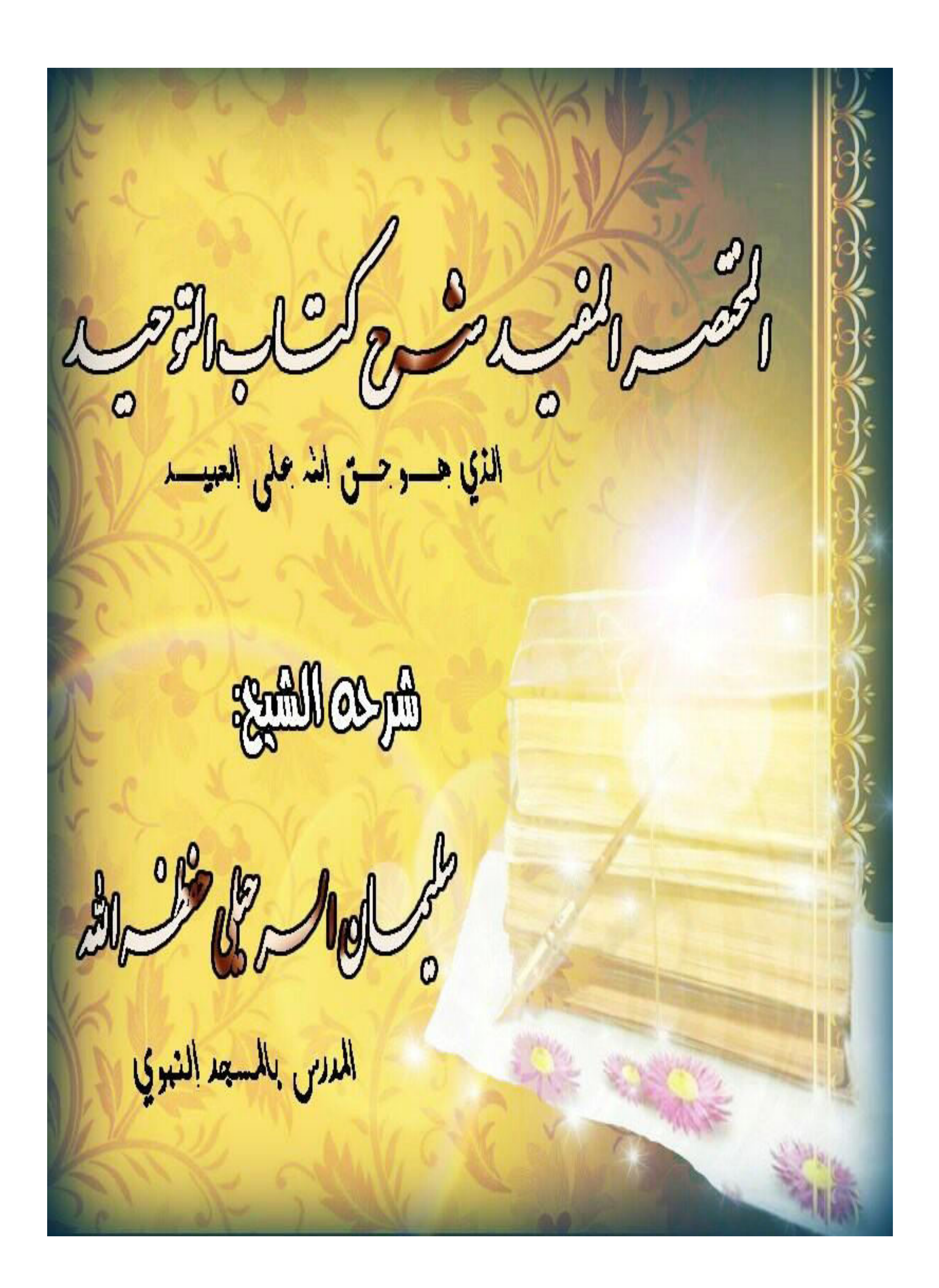

المختصر المفيد شرح كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد
شرحه الشيخ:
سليمان الرحيلي حفظه الله
المدرس بالمسجد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا؛ من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أمَّا بَعد:

فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد – صلَّى الله عليه وسلم –، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أمَّا بعد:

فنشرع في القسم الثاني من درسنا، وهو المتعلق بشرح كتاب التوحيد؛ وما أجمله من كتاب، وما أجمله من موضوع، إذا سمعه المؤمن سُرَّ بسماعه؛ لأنه في حق الله – عز وجل –.

ولازلنا نتكلم في شرح الباب الأول، وهو المتعلق بفضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

قد تقدم معنا أنّ هذا الباب فيه بيان فضل التوحيد؛ وذلك في أمرين:

- الأمر الأول: أنّ **التوحيد أعظم أسباب دخول الجنة، وهو شرطٌ لكلّ سبب من أسباب دخول الجنّة، وهو مفتاح الجنّة**، فمن جاء بغير مفتاح لم يُفتح له، ولم يدخل الجنّة.
- الأمر الثاني: أنّ **التوحيد يكفِّر الذنوب**، والذنب كاللازم للعبد، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((كلّ بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التّوابون))؛ فالتوحيد سبب للنجاة من النّار وذلك:

– إمّا بكونه يكفّر الذنوب؛ فلا يدخل الإنسان النّار.

– وإمّا بكونه يرجِّح في الميزان بالسيئات فيكون ذلك بالرجحان.

وهما في حديث عِتبان: ((فإنّ الله حرَّم[1] على النّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله[2])).

---

(1) التحريم: هو المنع والحجز، قال العلماء: والتحريم هنا:

- إمّا تحريم خلود: لكلّ موحّد، كلُّ موحِّد حرَّم الله عليه أن يُخلَّد في النّار.

- وإمّا تحريم دخول: لبعض الموحّدين - الذين سيأتي وصفهم إن شاء الله بعد ذلك، وسنعلّق عليه -.

(2) لم يكتفِ بالقول (**من قال لا إله إلا الله**)؛ ولكنّه اشترط لهذا القول شرطًا عظيمًا، وهو: أن يبتغي بذلك وجه الله؛ أي: أن يقصد بذلك وجه الله.

ووجه الله - عزّ وجلّ - صفة من صفات ربّنا، ولربنا -سبحانه وتعالى - وجه.

وأعظم لذّة وأعظم نعيم للموحّدين هي رؤية وجه الله - عزّ وجلّ - إذا دخلوا الجنة، لا لذّة أعظم منها، ولا نعيم أعلى منه.

فإنه إذا دخل الموحّدون الجنّة، تجلى لهم ربّهم، وزادهم نعيمًا وفضلًا ولذّة؛ فرأوا وجه ربّهم الكريم - سبحانه وتعالى -.

وقول النبي - صلى الله عليه وسلّم - هنا: (**يبتغي بذلك وجه الله**)؛ يعني: يبتغي بذلك وجه الله ولازم ذلك: وهو رضا الله؛ فإنّ لازم وجه الله: أن يرضى الله عنه. **فهو يبتغي بذلك وجه الله - سبحانه وتعالى -، ويبتغي لازم ذلك، وهو: أن يرضى الله عنه - سبحانه وتعالى -.**

❖ تنبيه:

جاء في حديث معاذ أنّ النبي – صلى الله عليه وسلّم – قال: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه، إلّا حرَّمه الله على النّار)) متفق عليه.

1. ((ما من أحدٍ)) وهذا من أقوى أنواع العموم؛ لأنّه جاءنا النفي، وجاءت نكرة في سياق النفي، وسُبقَت بـ ((مِن))، والعلماء يقولون: النكرة إذا جاءت في سياق النفي وسُبقَت بـ ((مِن))، كانت في أبلغ العموم؛ حتّى أنّه لا يصحّ منها الاستثناء. فلو قلتُ مثلًا: ما من رجلٍ في الدار؛ معنى ذلك: أنه لا يوجد أيّ رجل في الدّار، ولا يصحّ أن أقول: ما من رجل في الدار إلّا فلانًا؛ لكن إذا قلت: لا رجل في الدار، هذا يقتضي العموم؛ لكن يجوز الاستثناء، فتقول: إلا زيدًا.

إذن هذا اللفظ: ((ما من أحدٍ)) من أبلغ أساليب العموم.

قال: ((صدقًا من قلبه)) – وانتبهوا لهذا الشرط – أن يكون ذلك من قلبه.

((إلّا حرّمه الله على النّار)): والتحريم كما قلنا نوعان.

✓ سؤال: هل ينتفع الإنسان بقول: (لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله)؟

نقول:

- **إذا قالها بلسانه، ولم يكن ذلك في قلبه، فإنّها تنفعه في الظاهر في أحكام الدنيا:** فنحكم له بالإسلام، ونُجري عليه أحكام الإسلام ما لم يأتِ بمناقض لها؛ لأنّ الذي في القلب لا نعلمه، ولا يجوز الحكم على النّاس الذين أتَوا بالشهادتين، ولم يتلبَّسوا بمناقِضٍ لهما بالكفر بالقرائن؛ ولذلك لما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – بعثًا – سريّة لم يكن فيها النبي –صلى الله عليه وسلم – وكان فيها أسامة – رضي الله عنه –، ففرّ رجل من المشركين، فلحقه أسامة — رضي الله عنه – ورجلٌ من الأنصار، فلمّا أدركاه، ورفعا عليه السلاح، قال:

(أشهد أن لا إله إلا الله). فكفّ عنه الأنصاري، وطعنه أسامة – رضي الله عنه – بحربته حتّى قتله. فلمّا رجعا إلى المدينة، وبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟!)) قال: ((يا رسول الله إنما قالها متعوّذا))– هذا أمر ظاهر– قال: ((أشققت عن قلبه؟)). الذي في قلبه ما تعلمه؛ إنّما يعلمه الله، فعلى الظاهر ينفعه ذلك.

ولذلك فإن أصل قصة هذا الحديث الذي معنا، حديث عِتبان: أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – ذهب إلى بيت عِتبان – رضي الله عنه –، وهو رجلٌ أعمى، ليصلي في بيت عتبان – رضي الله عنه –، فلمّا علم النّاس جيران عتبان اجتمعوا في بيته، ولم يأتِ رجل معروفٌ اسمه؛ لكن على كلّ حال لم يأتِ هذا الرجل، قالوا: أين فلان؟ فقال بعض الصحابة: ((ذاك منافق يحبّ المنافقين))، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (لا تقل ذلك، ألم ترَ أنّه قال: لا إله إلا الله؟)، – وفي رواية صحيحة: ((ألم ترَ أنّه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؟))- قالوا: (إنّما نرى وجهه ونصحه للمنافقين). — يعني لماذا قلنا إنّه منافق؟ لأنّا نرى وجهه ونصحه وصحبته مع المنافقين –؛ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (فإنّ الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))).

فيدلّ ذلك على أنّ من قال (لا إله إلا الله) ولم تكن في قلبه ينفعه ذلك في الظاهر، ولذلك النبي – صلى الله عليه وسلّم – لم يقتل المنافقين مع علمه بأنّهم كاذبون في قولهم (لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله). **أمّا عند الله لا تنفعه ما دام أنّها لم تكن في قلبه.**

- **من قال (لا إله إلا الله) من قلبه ولم يأتِ بالعمل الذي تقتضيه لا إله إلا الله، أو كان لا يأتي بهذا العمل – مثل ما هو عندنا نحن فيما نقرره: الصلاة –. قال أشهد أن (لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله) من قلبه ولم يأتِ بالصلاة؛ هل تنفعه (لا إله إلا الله)؟**

الجواب:

أ- **إذا كان عالمًا بما يجب عليه، متمكنًا، ولم يأتِ بما هو واجب عليه**؛ وهو الصلاة على ما نراه، ومطلق العمل عند بعض السلف - يعني أيّ عمل يعمله -، ونحن نرى على الراجح أنّه عمل مخصوص: وهو الصلاة؛ **فإنّها لا تنفعه ولا يكون من المسلمين.**

ب- **أمّا إذا لم يعلم**، مثلًا إنسان في أيّ دولة من الدول سمع بالإسلام، وأحبّ الإسلام، وقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله)؛ لكن لم يجد من يعلِّمه. بقي يومين ثلاثة وهو دائمًا يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله)؛ لكن ما عُلِّم شيئا، فمات. **أو عَلِم، لكن لم يتمكن**، عَلِمَ أنه يجب عليه أن يصلي؛ لكن لم يتمكن من الصلاة، مثلًا علم في وقت الضحى أنّه يجب عليه أن يصلي الظهر، فمات قبل الظهر. **أو علم، وتمكن، ولم يفعل؛ لكنّه قالها عند موته تائبًا مما تقدّم**، تائب من النواقض التي كان يفعلها، تائب من ترك الصلاة، وعلمنا ذلك؛ **فإنّ هذا ينفعه.**

⇦ **إذن قال (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله) من قلبه لكن لم يأتِ بمقتضاها من العمل الذي لابد منه:**

- لعدم علمه.

- أو لعدم تمكنه.

- أو قالها عند موته تائبًا نادمًا على ما تقدَّم؛ بمعنى أنّه عازم أنّه لو تمكن من الصلاة سيصلي، تائب من الناقض الذي كان يفعله.

فإنّه في هذه الحال ينفعه أنه قال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله) من قلبه.

إذن قول (لا إله إلا الله) لابدّ فيه – كما تقدم – من:

- **يقين القلب.**
- **ونطق اللسان مع القدرة.**
- **والعمل بمقتضى (لا إله إلا الله).**

✓ هل يكفي القول؟

←أمّا إذا كان باللّسان فقط بدون القلب فإنّما تنفعه في الظاهر فقط عندنا، أمّا عند الله فلا تنفعه.

← أمّا إذا نطق بالشهادتين متيقنًا من قلبه، ولم يأتِ بالمقتضى اللازم لـ(لا إله إلا الله) من العمل فإنّ الأمر كما سبق بيانه وضبطه .

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «قال موسى – عليه السلام –: (يا ربّ، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به)[1]، قال: (قل يا موسى: لا إله إلا الله)[2]. قال: (كل عبادك يقولون هذا)[3]، قال: (يا موسى لو أنّ السماوات السبع وعامرهن غيري[4]، والأرضين السبع[5] في كفة[6]، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله)[7]» رواه ابن حبان والحاكم وصحّحه.

هذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه، والمعلوم أنّ ابن حبان إذا روى الحديث في صحيحه فهو يصحّحه، وصححه الحاكم، وصحّحه الذهبي، وصحّحه ابن حجر في فتح الباري، وقال ابن باز – رحمه الله –: أسانيده جيدة؛ لكنّ الحديث ضعَّفه الألباني، وضعَّفه الشيخ شعيب الأرناءوط – رحم الله الجميع –.

والظاهر – والله أعلم – أنّ إسناده ضعيف؛ لأنّه من رواية درّاج؛ ودرّاج ضعيف، فإذا روى عن أبي الهيثم فهو أشدّ ضعفًا، يعظم ويشتدّ ضعفه إذا روى عن أبي الهيثم، وهو هنا يروي عنه.

فالحديث ضعيف؛ لكنّ الشاهد منه صحيح، ولذلك الحافظ ابن كثير – رحمه الله – لما ذكر هذا الحديث قال: وله شاهد – يعني يشهد للشاهد منه –؛ وذلك أنّه روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – أنّه قال: «إنّ نبي الله نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنّي قاصٌّ عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين»؛ يعني أنا سأخبرك بوصيتي، وفي هذه الوصية آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنيتن: «آمرك بـ(لا إله إلا الله)، فإنّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت (لا إله إلا الله) في كفة، رجحت بهن (لا إله إلا الله)، ولو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع كنّ حلقة مبهمة قصمتهن (لا إله إلا الله)». هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد صحّحه الحافظ ابن كثير، وصحّحه الشيخ أحمد شاكر،

وصحّحه الشيخ شعيب الأرناءوط، وصحّحه الشيخ الألباني، وصحّحه الشيخ مقبل الوادعي – رحم الله الجميع –. فهذا الحديث صحيح، والشاهد من هذا الحديث المورَد عندنا موجودٌ فيه بتمامه.

⇦ **فنقول في هذا الحديث الذي معنا: إنّ إسناده ضعيف؛ لكن ما تضمّنه من شاهد الباب صحيح.**

(1) إذن؛ ماذا طلب؟ طلب شيئًا ليس للدنيا، وإنّما ليدعو الله ويذكره به.

(2) ومعنى ذلك أنّ من قال (لا إله إلا الله) فقد ذكر الله، ودعا الله؛ وهذا ما يسمى عند أهل العلم بدعاء العبادة.

والدعاء نوعان:

① **دعاء المسألة**: أن تقول: اللّهم ارزقني، اللّهم اشفني، اللّهم عافني؛ فأنت تطلب.

② **ودعاء العبادة**: أن تعبد الله بما شرع، فإذا عبدتَ الله بما شرع فقد دعوته؛ لأنّ كلّ عبادة تتضمن المسألة. عندما تصلي فكأنّك تقول: اللّهم اقبل صلاتي، وارزقني ما رتبتَه عليها، عندما تحجّ كأنّك تقول: اللّهم اقبل حجّي، وارزقني ما رتبته على الحج. فعندما تقول (لا إله إلا الله) فأنت ذاكر الله – عزّ وجلّ –، وداعٍ دعاء العبادة؛ لأنّ قولك (لا إله إلا الله) يتضمن أنّك تسأل الله أن يرزقك ما رتبه على قول (لا إله إلا الله).

إذن ليس هناك إشكال في أنّ موسى – عليه السلام – طلب شيئًا يذكر الله به، ويدعو الله به، فقال له الله: قل (لا إله إلا الله)؛ لأنّه قد يأتي قائل يقول: هذا ذكر فأين الدعاء؟ نقول: الدعاء موجود.

(3) جاء عند ابن حبان أنّه لما قال: (كلّ عبادك يقولون هذا)، قال الله له: (قل لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيئًا تخصني به – وإلّا فكلّ عبادك يقولون هذا –). وعند الحاكم (قال: كلّ عبادك يقولون هذا يا ربِّي، فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: لا إله إلا أنت يا ربي)؛

فامتثل. (وإنما أريد شيئًا تخصني به): أنا أريد أن أزيد في عبادتك يا ربي، كلّ عبادك يقولون: (لا إله إلا الله).

وفي هذا دلالة على أنّ الإنسان لا يكون عبدًا لله – على وجه الامتثال؛ لا على وجه كونه عبدًا لله أصلًا – إلّا بقول (لا إله إلا الله). فمَن لم يقل (لا إله إلا الله) فليس عبدًا لله على وجه الامتثال، من زمن آدم – عليه السلام – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(4) فالسماوات السبع معمورة بالملائكة، وربنا – سبحانه وتعالى– مستوٍ على عرشه فوق سماواته، فعقيدة المؤمن الراسخة أنّ الله – عزّ وجلّ – في السماء: ﴿أَأَمِنتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك: 16] .

ولما سأل النبي – صلى الله عليه وسلّم – الجارية: ((أين الله؟) – أشارت بإصبعها في السماء– قالت: (في السماء)، قال: (اعتقها فإنّها مؤمنة))).

فربنا مستوٍ على عرشه – سبحانه وتعالى – فوق سماواته؛ ولذلك قال: (**لو أنّ المساوات السبع وعامرهن غيري**).

(5) فدّلنا على أنّ الأرض مثل السماء سبع.

(6) من الميزان.

(7) المعلوم أنّ الأعمال توزَن يوم القيامة في الميزان، فتوضَع الأعمال الصالحة في كفة، وتوضَع الأعمال السيئة في كفة؛ فمِن الموحّدين من تثقُل كفة حسناته؛ وأعظم ما فيها: (لا إله إلا الله). ومن الموحّدين من لا ترجح كفة حسناته فيجازى بسيئاته بالنّار إلّا أن يعفو الله عنه.

وهذا يدّلنا على أنّ النّاس يتفاوتون في (لا إله إلا الله)؛ لا شكّ كلّ المسلمين يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ لكنّهم يتفاوتون في قوتها، إذ لو لم يكونوا يتفاوتون في قوتها لَمَا دخل مسلم موحِّد

النّار؛ لأنّ (لا إله إلا الله) سترجح بكفة الحسنات؛ لكنّ هذا بحسب قوتها، فيتفاوت النّاس في قوة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في أنفسهم.

⇦ **وهذا يدلّ على: - عظم هذه الكلمة (لا إله إلا الله).**

- **وأنّها المنجية للعبد.**
- **وأنّ العبد كلّما اجتهد في تحقيقها وتخليصها – كما سيأتي في تحقيق التوحيد إن شاء الله – كان أقرب إلى الجنّة؛ حتّى أنّه قد يصل إلى أن يدخل الجنّة بغير حساب متقدّم، ولا عذاب متقدم. قد يصل بتحقيقه هذه الكلمة، وتخليصها على الوجه الذي سيأتي إن شاء الله أن يصل أنّه منذ أن يموت لا يُعذَب، فلا يعذب في قبره، ولا يعذب في النّار؛ فيدخل الجنّة بغير حساب متقدّم، ولا عذاب يتقدم دخوله الجنّة.**

وهذا يجعل المؤمن حريصًا على توحيد الله –سبحانه وتعالى– وعلى تحقيقه على الوجه الذي سيأتينا إن شاء الله.

وللترمذي وحسنه عن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((قال الله – تعالى –: (يا ابن آدم[1] لو أتيتني بقراب الأرض خطايا[2] ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا[3] لأتيتك بقرابها مغفرة)[4])).

هذا الحديث القدسي رواه الترمذي، والطبراني بإسنادٍ، حسنه الترمذي، وصحّحه الإمام الألباني – رحم الله الجميع –.

(1) يا أيّها الخطاء، كل بني آدم خطاء؛ لابدّ أن تذنب.

(2) يعني لو كانت الأرض قرابًا، وملأته خطايا، وذنوبًا صغيرة وكبيرة غير الشرك الذي يخرج من الملة.

(3) فكنت موحِّدًا.

(4) وفي هذا أنّ المغفرة إنّما هي لأهل التوحيد؛ فأهل الشرك لا يغفر الله لهم، ولذلك المشركون يعذَّبون على شركهم، ويعذَّبون على تركهم الأعمال الصالحة وإن فعلوها؛ لأنّها لا تُقبَل منهم وليست عبادة؛ يعذَّبون على ترك الصلاة، وعلى ترك الصيام، وعلى ترك الحج، وعلى ترك الزكاة، ويعذَّبون على فعل السيئات.

فلو كان يصلي؛ لكنّه يعبد الولي، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، وكفر بعينه؛ هذا ما صلى لله؛ فيؤاخَذ على ترك الصلاة، ويُعذَّب على ترك الصلاة.

⇦ **فأهل الشرك لا يُغفر لهم الشرك، ولا تُغفر لهم سيئاتهم.**

فأهل التوحيد هم أهل المغفرة أن يغفر الله لهم بفضله، وكرمه، وجوده – سبحانه وتعالى – . وهذا فضل من الله – سبحانه وتعالى –، والله حكيم عليم، هو أعلم بعباده – سبحانه –.

① فمِن عباده من يغفر له خطاياه؛ فيدخل الجنّة ابتداء.

② ومِن عباده من يؤاخَذ بخطاياه؛ فيدخل النّار، فيشفع الشافعون من الملائكة والصالحين؛ فيُخرَج من النّار مباشرة.

③ ومنهم من يُخرجه الله بعفوه.

④ ومنهم من يُمحَّص في النّار، ثمّ يخرجه الله – عزّ وجلّ – فيكون من أهل الجنّة.

وهذا يدلّ على فضل التوحيد.

ولاشكّ أنّ النّاصح لنفسه إذا سمع قال الله، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وعرف هذه الفضائل كان التوحيد عنده أغلى من الذهب والفضة، وأغلى من النّاس أجمعين، لا يمكن أن يترك التوحيد، أو شيئًا منه لقول شيخٍ أو لقومٍ، أو لأنّ أهله على غيره أبدًا؛ لأنّه مصدِّق ما قال هذا الشيخ الفلاني ولا الشيخ الفلاني، الذي قال هذا هو الله – سبحانه وتعالى –، وهو أصدق القائلين، الذي قال هذا محمدٌ – صلى الله عليه وسلم –.

 ووالله المؤمن لا يشكّ في حرف واحد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيكون حريصًا على هذا التوحيد، وإذا عاش على غيره وعلم أنّ هذا ينافي التوحيد أو ينافي كمال التوحيد برئ إلى الله منه، وغسل نفسه منه، وتطهَّر منه، وتاب إلى الله. وسيأتينا إن شاء الله تفصيل ما ينافي التوحيد، أو ينافي كمال التوحيد.

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.[1]

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.[2]

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.[3]

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام[4]

الخامسة: تأمُّل الخمس اللواتي في حديث عبادة.[5]

---

(1) فضل الله عظيم وواسع على أهل التوحيد؛ فالله - عزّ وجلّ - يدخلهم الجنّة إمّا بغير حساب ولا عذاب، وإمّا بأن يمحّصهم ليتأهلوا للجنّة، ثمّ يدخلوا الجنّة بعد ذلك، مع أنّه لا يستحقّ أحدٌ الجنّة بعمله؛ وإنّما هو فضل الله - سبحانه وتعالى -، والأعمال أسبابٌ لنيل فضل الله - سبحانه وتعالى -.

(2) أعظم الأعمال ثوابًا هو التوحيد، ثم التوحيد شرطٌ لكلّ عملٍ يثاب عليه، لا يمكن أن يثاب على عمل إلّا بالتوحيد.

(3) مع كونه حسنةً عظيمة، وكلّ عمل لا يكون حسنة إلّا به؛ فإنّه مع ذلك يكفِّر الله - عزّ وجلّ- به الذنوب عمَّن تحمل الذنوب.

(4) التي تقدمت معنا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، وقد فسرناها، وبيّناها.

(5) من شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، والنّار حقّ. وقد تكلمنا عنها.

السادسة: أنّك إذا جمعتَ بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيّن لك معنى قول (لا إله إلا الله)، وتبيّن لك خطأ المغرورين.(1)

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عِتبان.(2)

الثامنة: كون الأنبياء عليهم السلام يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله).(3)

---

(1) أنّ شرط (لا إله إلا إله) أن تكون من القلب، وأن يبتغي بها العبد وجه الله - سبحانه وتعالى -.

وأنّ من اغتر بأنّ مجرد قول (لا إله إلا الله) ينفع العبد فلم يتحرز من الشرك بأنواعه - ممّا لا يناقض أصل التوحيد: وهو الشرك الأصغر والشرك الخفي -، ولم يعمل الصالحات، مغرور؛ لأنّ من ابتغى وجه الله لابدّ أن يعبد الله. والذي يقول: أنا أقول (لا إله إلا الله) أبتغي بذلك وجه الله، ويقال له: صلِّ فإنّ الله يحبّ هذا، يقول: لا، ما أصلي! هذا ما ابتغى وجه الله - سبحانه وتعالى -.

(2) يبتغي بذلك وجه الله.

(3) لِمَا جاء في قصة موسى - عليه السلام -، ولا شكّ أنّ عباد الله جميعًا يحتاجون إلى التنبيه على فضل (لا إله إلا الله) وإذا كان هذا للأنبياء، الله - عزّ وجلّ - يقول للنبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد: 19]؛ فمن باب أولى من كان دون الأنبياء - عليهم السلام -. فالذين يأتون، ويقولون لنا: لماذا تدرسون بالتوحيد، وتشغلون الأمّة بالتوحيد؟ نقول لهم: إذا ما أشغلنا الأمّة بالتوحيد الذي هو حقّ الله، فو الله سيشغلها الشيطان بشركه والمعاصي.

الأنبياء - عليهم السلام - منذ أن يُبعَثوا إلى أن يُقبَضوا وهم يعلِّمون التوحيد، يوصون بالتوحيد.

نبينا – صلى الله عليه وسلم– منذ أن بعثه الله وهو يأمر النّاس بـ(لا إله إلا الله)، وعندما مات أوصى النّاس بـ(لا إله إلا الله).

وكما تقدَّم معنا، لن تعزّ الأمّة، ولن تقوى، ولن يكون لها شأن إلا إذا أظهرت التوحيد الخالص، واجتهد أهل العلم وطلاب العلم في دلالة أهلنا من المسلمين على هذا الطريق المستقيم، الصراط المستقيم الذي لا يجوز للمسلم أن يسلك سواه أبدًا.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات؛ مع أنّ كثيرًا ممن يقولها يخفّ ميزانه.[1]

العاشرة: النّص على أنّ الأرضين سبع كالسماوات.[2]

الحادية عشر: أنّ لهنّ عمارًا.[3]

---

(1) انتبه لهذا الكلام أنّ (لا إله إلا الله) ترجح بجميع المخلوقات لو قابلتها في كفة؛ ومع ذلك فبعض من يقولها تخفّ في الميزان؛ مِن نقصٍ فيه لا مِن نقصٍ فيها، فهو لم يجتهد في تحقيقها، فخفّت؛ لأنّ بعض النّاس يقول (لا إله إلا الله) ويأتِي بما يناقضها، فيرفعها بالكليّة، يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله)، وإذا أصابته مصيبة ما يقول: يا الله، يقول: يا سيدي فلان. هذا يُعدِم قوله (لا إله إلا الله) بالكليّة؛ فلا يكون لها وزن؛ لأنّه أزالها. ومن النّاس مَن لا يأتي بمناقضٍ لها؛ ولكنّه لا يرعاها فلا يحافظ على كمالها فتضعف. ولذلك، الدليل على أنّها تخفّ: أنّ من الموحّدين، يقينًا، من يدخل النّار، وذلك لضعف (لا إله إلا الله) في حقّه.

(2) نعم نصًّا، وإلا فوردت الدّلالة على هذا في القرآن ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق: 12]، لكن هنا نصّ على أنّ الأرضين سبع، وقد ورد في عدد من الأحاديث أنّ الأرضين سبع كالسماوات، والله أعلم بها.

(3) أمّا الأرض فنحن نرى عمّارها، منهم بنو آدم، وأمّا السماء فقد أخبرنا الله عن عمّارها. وهنا الذي يظهر – والله أعلم – أنّ مقصود الشيخ في قوله: (**أنّ لهن**): أيْ السماوات؛ لأنّه هو الذي ورد في الحديث: (**لو أنّ السماوات السبع وعامرهن غيري**).

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشاعرة.[1]

الثالثة عشر: أنّك إذا عرفت حديث أنس عرفت أنّ قوله في حديث عتبان: ((فإنّ الله حرم على النّار من قال (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله)) أنّ ترك الشرك ليس قولها باللسان.[2]

الرابعة عشر: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – عبداه ورسولاه.[3]

---

(1) إثبات الصفات خلافًا للنّفاة أو للمؤوّلة.

فالصفات ثابتة لربنا – سبحانه وتعالى –، ولا شكّ في ذلك، وقد دلّت على ذلك أدلّة كثيرة، منها ما تقدّم معنا، وبيّنا طريقة أهل السنّة والجماعة في إثبات الصفات.

خلافًا للنُّفاة الذين ينفون الصفات أصلًا، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

أو المؤوّلة الذين يؤوّلون الصفات، ومنهم الأشاعرة الذين يُثبِتون سبع صفات ويؤوّلون غيرها.

ونصّ على الأشاعرة هنا؛ لأنّهم أقرب من تكلم في الصفات إلى أهل السنة وإن لم يكونوا من أهل السنّة.

(2) يعني الذي في حديث أنس (**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**) ليس أن تقول (لا إله إلا الله) باللسان فقط؛ بل لابد من القيود السابقة: أن تبتغي بذلك وجه الله.

(3) فعيسى – عليه السلام – كمحمد – صلى الله عليه وسلم – كلاهما عبد لا يُعبَد، ورسول لا يُكذّب؛ فلهما منزلة عظيمة: وهي منزلة الرسالة.

والمعلوم أنّ أفضل الأنبياء هو محمد – صلى الله عليه وسلم –، ثمّ أولوا العزم؛ ومنهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، وعيسى – عليه السلام –.

والمقصود هنا: أنّ عيسى – عليه السلام – كمحمد – صلى الله عليه وسلم – في هاتين الصفتين: عبدٌ ورسولٌ لله – عزّ وجلّ –.

وعيسى – عليه السلام – من خصائصه: أنّه سينزل في آخر الزمان؛ لأنّ الله رفعه فهو في السماء، ويصلي كما نصلي، ويحجّ، ويحكم بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم –، ويُجاهِد، ويُجاهِد معه المسلمون في قتل الدجال، ثمّ يبعث لهم الله قومًا لا قدرة لهم على قتالهم وهم يأجوج ومأجوج، فيأمره الله أن يحرِّز المؤمنين إلى الطور، ويكون ما يكون في آخر الزمان.

الخامسة عشر: معرفة اختصاص عيسى – عليه السلام – بكونه كلمة الله.[1]

السادسة عشر: معرفة كونه روحًا منه.[2]

السابعة عشر: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.[3]

الثامنة عشر: معنى قوله: على ما كان من عمل.[4]

التاسعة عشر: معرفة أنّ الميزان له كفتان.[5]

العشرون: معرفة ذكر الوجه.[6]

---

(1) قد بيّنا معنى كلمة الله؛ وهو أنه خُلِق بالكلمة.

كل رجل خُلِق من ماء رجل مع بويضة الأنثى إلا آدم – عليه السلام – وعيسى – عليه السلام –؛ وآدم – عليه السلام –خُلق من التراب، وعيسى – عليه السلام – خُلق بقول الله «كن» في رحم أمِّه، فكانت له أم؛ فهو ابن أمه مريم – عليهما السلام –.

(2) وبيّنا معنى هذا فيما تقدم.

(3) كما تقدم.

(4) وتقدم معنا أنّ للعلماء ثلاثة أقوال في معنى (**على ما كان من عمل**). وهذه تردُّ على المغرورين الذين يقولون: يكفي أن يقول (لا إله إلا الله) ولو لم يعمل شيئًا.

(5) من أين أخذ الشيخ هذا؟ من قصة موسى – عليه السلام –؛ لأنّ الله قال: (**لو أنّ السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفّة و(لا إله إلا الله) في كفّة**)؛ لكن قال العلماء: هذا تمثيل «لو»؛ لكنّ الشيخ فهم، وفهمه صحيح أنّ هذا سيكون، وقد دلت الأدلّة من الكتاب والسنّة على أنّ هذا سيكون؛ ولذلك السلف مُجْمِعُون على أنّ الميزان له كفتان، وأنّ له لسانًا، فما من ميزان له كفتان إلّا وله لسان.

(6) معرفة أنّ لربنا – سبحانه وتعالى – وجهًا، والمؤمن بأعماله الصالحة يبتغي وجه الله؛ لأنّ أعظم جزاء على الإطلاق على الأعمال الصالحة: هو رؤية وجه الله – سبحانه وتعالى–.

أسأل الله أن يرزقنا جميعًا أعظم نعيم على الإطلاق: نظر المؤمنين إلى وجه ربّهم – سبحانه وتعالى– وهم في الجنّة.

فالمؤمن بأعماله الصالحة يبتغي وجه الله؛ ولازم ذلك: أنّه يريد إرضاء الله – سبحانه وتعالى –، فهذا يدّل على إثبات الوجه لربنا – سبحانه وتعالى – على ما يليق بجلال ربّنا.

باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

مقصود هذا الباب أمران:

- الأول: بيان فضيلةٍ للتوحيدِ زائدةٍ على ما تقدَّم.

الذي تقدّم: فضل التوحيد؛ وهو: دخول الجنة بالتوحيد بفضل الله، والنجاة من النار بالتوحيد.

هنا أراد الشيخ أن يبيّن فضيلة زائدة؛ وهي: دخول الجنةِ ابتداءً بغير حساب ولا عذاب. وهذه فضيلة زائدة على مجرد دخول الجنة؛ دخول الجنة ابتداءً بغير حساب ولا عذاب يتقدمُ الدخولَ.

- والثاني: - وانتبهو له - بيان أنّ ما تقدم من دخول الجنة لأهل التوحيد ونجاتِهم من النار لا يعني أنهم يدخلون الجنَّة جميعًا ابتداء، وأنهم يَسْلَّمون جميعًا من دخول النار ابتداء.

يعني تقدم معنا أنهم يدخلون الجنة، وتقدم معنا أنّ الله لا يعذبهم بالنار؛ أراد الشيخ هنا أن يقول لنا: إنّ الذي تقدم لا يعني أنّ جميع الموحّدين يدخلون الجنة ابتداءً، بل منهم من لن يدخل الجنة ابتداءً؛ وإنما يدخلها انتهاءً. وأنه لا ينجو جميع الموحّدين من دخول النار ابتداء، بل من الموحّدين من يدخل النار ابتداءً ثم يخرج منها.

ودليل ذلك: تخصيصُ طائفةٍ وعددٍ من الأمة بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

إذن بقية الأمة ماذا سيكون شأنها؟

تدخل الجنة؛ ولكن بتقدُّمِ عذابٍ.

ولهذا تعرف يا أخي، فقه الشيخ في الترتيب: فهذا ليس من باب ذكر الخاص بعد العام فقط؛ وإنما من باب ذكر الخاص بعد العام مع فائدة القيد لِمَا تقدم؛ فهذا هو مرادُ الباب.

وقول الله – تعالى -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120]

✔ الباب ماذا يقول؟

بابٌ: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

✔ ما مناسبة هذه الآية للباب؟

تفسير تحقيق التوحيد الذي اشتُرِط في الباب، كأنّ قائلًا قال:

✔ كيف أحقِّق التوحيد؟

فقال الشيخ: الجواب في هذه الآية.

إذن مناسبة هذه الآية للبابِ: أنّ هذه الآية تبيِّن الشرط المذكور في البابِ؛ وهو: تحقيق التوحيد.

ففي هذه الآية العظيمة يثني الله – عز و جل – على نبيه وخليله إبراهيم – عليه السلام –:

- بأنه كان أمةً؛ أي: كان إمامًا متبوعًا، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ إمامٌ للموحِّدين، يجب على كل موحِّد أن يتخِذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ إمامًا، كما يتخِذ محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إمامًا.

والإمامة لا تُنال في الدين إلا باليقين والصبر؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24] إذن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان موقنًا، وكان صابرًا، وهو إمامٌ للموحِّدين.

- وبأنه كان قانتًا لله؛ أي: كان منقادًا للَّهِ، ومداومًا على طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ومكثِرًا من الطاعات والتقرُّب.

- وبأنه كان حنيفًا؛ أي: مائلًا من الشرك إلى التوحيد، وعن المعصية إلى الطاعة ﴿وَلَمْ يَكُ مِن المشركِين﴾؛ وهذا هو التوحيد.

إذاً؛ الله ـ عز وجل ـ وصف خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بثلاث صفات:

الصفة الأولى: أنه كان إمامًا للموحدين، وهذا يتضمَّن أنه كان موقنًا صابرًا.

والصفة الثانية: أنه كان قانتًا لله؛ أي: كان منقادًا للَّهِ ـ عز وجل ـ، مسلِّمًا لأمر الله، مداومًا على الطاعات، ومكثِرًا منها.

والصفة الثالثة: أنه كان حنيفًا؛ أي: محققًّا للتوحيد؛ فإنه كان مائلًا عن الشرك إلى التوحيد: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120]

فدلَّ ذلك على أنّ كمال تحقيق التوحيد إنما يكون:

- بالعلم: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19].
- واليقين – يقين القلب –.
- ونطق اللسان.
- والعمل بالتوحيد، بأصله وكماله.
- والبعدِ عما يَنقُضه أو يُنقِصه.
- والعلم بمقتضى التوحيد؛ وهو: الانقياد للَّه، وتسليم القلب له، والعمل بأوامر الله، واجتناب نواهي الله.

ولا يتحقق كل ذلك إلا بالصبر.

⇦ **هذا كمال تحقيق التوحيد؛ أعلى المراتب.**

❖ ومن الانقياد يا إخوة: التوبة عند الوقوع في الذنب.

يعني لا يلزم لكمال تحقيق التوحيد أن لا يذنب العبد؛ ولكن يلزم لكمال تحقيق التوحيد: أن يكون العبد توّابًا من ذنوبه، منيبًا إلى الله، كلما أذنب تاب؛ هذا كمال تحقيق التوحيد.

لأن عندنا في التوحيد مراتب:

- كمال تحقيق التوحيد. وهذه المرتبة إنما هي لأنبياء الله وللخُلَّص من عباد الله الذين يتأسَّون بالأنبياء.
- مرتبة تحقيق التوحيد. انتبه، مرتبة كمال تحقيق التوحيد، ومرتبة تحقيق التوحيد. وهي دون الأولى.
- ومرتبة العمل بالتوحيد؛ وهي دون الثانية.
- ومرتبة العمل بأصل التوحيد؛ وهي دون الثالثة.

وليس دونها شيء للموحِّدين إلا السقوط عن التوحيد.

وهذه المراتب إذا لم تُفهَم لا ينضبِط للإنسان فهم التوحيد.

وقد تكلمنا اليوم عن مرتبة كمال تحقيق التوحيد.

✓ كيف يصل العبد إلى مرتبة كمال تحقيق التوحيد؟

وهذه تحتاج إلى جهاد وصبر؛ ولكنّ مَن عرف ما عند الله لمن حقق هذه المرتبة هان عليها أن يبذُل النفس والنفيس ليكون من أهل هذه المرتبة.

ومرتبة تحقيق التوحيد، ومرتبة العمل بالتوحيد، ومرتبة العمل بأصل التوحيد، هذه سنتكلم عنها غدًا إن شاء الله في بداية درسنا.

لأنَّ إذا فهمنا هذا يا إخوة نستفيد فوائد كثيرة جدًّا، ومنها:

أن نفهم كلام العلماء؛ لأنّ بعض الناس يقرأ للعلماء الكلام عن مرتبة كمال تحقيق التوحيد؛ فيقول: هذ العالم أو هذا الرجل أو هذا الشيخ يرى أنّ الذي لا يفعل الأوامر ولا يجتنب النواهي لا يكون موحِّدًا! وهذا غلط؛ لأنه هنا لا يتكلم عن أصل التوحيد؛ وإنما يتكلم عن مرتبة كمال تحقيق التوحيد؛ وهي أعلى مراتب الموحِّدين.

وغدًا إن شاء الله نكمل بقية المراتب، ونربطها ببعضها، وإذا فهمناها فإنّ الأمر يستقيم لنا إن شاء الله ـ عز وجل ـ.

والله أعلـم

وصلى الله على نبينا وسلـم.